دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

طبقة العامة بالمغرب الأوسط
عهد الدولة الزيانية

د. نادية عبد الرحمن ميلود معاطي
الأستاذ المشارك في التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
دولة ليبيا

مُلَخّص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمدلول كلمة العامة وما السمات التي وصفت بها وما نظرة المصادر التاريخية لها من الناحية الاجتماعية والأخلاقية وكذلك السياسية وأخيرًا الدينية، مع إبراز لشرائح المكونة لهذه الطبقة باعتبارها جزًا لا يتجزأ وعاملاً من عوامل تكويناته الأساسية، ومدى تأثيرها في المجتمع المغربي في العهد الزياني خاصةً من الناحية الاقتصادية، وكما أنها تلقي الضوء على السمات العامة لأوضاعهم الاجتماعية، ووقفت الدراسة على جوانب من حياتهم اليومية بالإشارة لمساكنهم وطبيعة ملابسهم ومأكولاتهم ومدى تأثرهم بالمجاعات والأوبئة مع إبراز لدور كل من السلطة والفقهاء والأولياء في الوقوف إلى جانب هذه الطبقة في أوقات المحن. هذا البحث اعتمد المنهج التاريخي الوصفي الذي يسرد حياة شرائح هذه الطبقة في الظروف العادية وفي ظروف الكوارث الطبيعية من مجاعات وأوبئة، ومقارنتها بحياة طبقة الخاصة، كما استعمل المنهج الاستنتاجي في استخلاص النتائج حيث أظهرت الدراسة أهمية هذه الطبقة في الحياة الاجتماعية باعتبارها تمثل السواد الأعظم من السكان.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٠ ديسمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبول النشر: ١٣ يناير ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

العامة؛ المجاعات؛ الزيانية؛ المغرب الأوسط؛ المجتمع الزياني

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.446494

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نادية عبد الرحمن ميلود معاطي. "طبقة العامة بالمغرب الأوسط عهد الدولة الزيانية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد السبعون: أغسطس ٢٠٢٥. ص ١٠٥ – ١١٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: nadia.muati@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخِية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

كان المجتمع المغربي في العهد الزياني كغيره من المجتمعات الوسيطية مجتمعًا تراتبيًا، فالمجتمع في هذه الفترة تميز بتفاوت في الثروات، وفي ملكية وسائل الإنتاج سواء في المجال الزراعي أو الحرفي وهو ما يؤكد دور العامل الاقتصادي الحاسم في البناء الطبقي بوصفه البعد الأساسي المحدد لكل أبعاد التراتب الاجتماعي الأخرى كنمط العيش والجاه والسلطة واستنادًا لذلك يمكن التمييز بين طبقتين رئيستين هما: الخاصة التي احتلت المنزلة الأعلى في الهرم الطبقي، وطبقة العامة التي شغلته قاعدته وأسفل الهرم وضمت القوى المنتجة في المدن والبوادي على السواء، بالإضافة لفئة العبيد والفئة المهمشة.

ومن خلال هذه الدراسة حاولت الباحثة الإجابة على عدد من التساؤلات منها: ما مدلول كلمة العامة وما هي صفاتهم من خلال المصادر التاريخية؟ وما الشرائح المكونة لهذه الطبقة وما دورها داخل المجتمع الزياني؟ كيف كانت حياتهم اجتماعية من ناحية المسكن والمأكولات والملابس ومقارنتها بحياة طبقة الخاصة؟ بماذا تميزت أوضاعهم المعيشية عن غيرهم من طبقة الخاصة؟ ما مدى تأثير المجاعات والأوبئة على طبقة العامة؟ ما الدور الذي لعبه كل من الدولة والفقهاء والأولياء في التخفيف من حدة المجاعات والأوبئة على هذه الطبقة؟

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي الذي يقوم على طريقة استنباط الحقائق التاريخية من خلال تحليل وتوضيح النصوص ونقدها. وقد قُسم البحث إلى المحاور الأتية: المبحث الأول: مفهوم طبقة العامة. المبحث الثاني: بنية طبقة العامة. المبحث الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية لطبقة العامة. المبحث الرابع: أثر المجاعات والأوبئة على طبقة العامة. المبحث الخامس: دور السلطة والفقهاء والقضاة والأولياء في مواجهة المجاعات والأوبئة.

أولاً: مفهوم طبقة العامة

١/١-مدلول كلمة العامة

العامة هم خلاف الخاصة[١] ويراد بالخاصة أصحاب الخليفة من ذوي قرباه ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والأشراف والقضاة والشهود، علاوة على بعض المقربين من أهل الفن الموهوبين والعلماء وأهل الأدب[٢]. وردت كلمة العامة في القرآن الكريم باسم المستضعفين[٣] والمستضعفون هم الذين لا ينالون من الثروة إلا النزر اليسير وهم المغلوبون على أمرهم، ويقصد بهم عادة في المصادر التاريخية السواد الأعظم من السكان أي الجمهور الذي شكل سفح الهرم الطبقي[٤]

أما سبب تسمية العامة بهذا الاسم فيعود إلى كثرتهم وعدم إحاطة البصر بهم وبذلك اختلفوا عن الخاصة، ولم يكن اختلافهم بكثرة عددهم فقط، بل بكونهم ليسوا من أصحاب السلطة، فهم سواد الناس الذين لا يملكون السلطة، ويعيشون في عالم له أبعاده الفكرية والدينية التي تتدنى عن مستوى عالم "الخاصة"[٥]، وقد أشار ابن منظور إلى ذلك بلفظين: مصطلح سواد الناس الذي يشمل عوامهم وكل عدد كثير، مقابل "بياض الناس" الذي يطلق على الأعيان والرؤساء.[٦]

ويبدو أن النظرة إلى العامة لمتكن تنطوي على احترام. فنجد بعض التسميات الأخرى المرادفة لكلمة العامة لا تخلو من استهانة أو نقد، فمن ذلك قول المسعودي " بأن الناس قد أجمعوا على تسميتهم بالغوغاء"[٧]، ويطلق هذا اللفظ في الأصل على الجراد حين تظهر أجنحته فيموج بعضه في بعض، ومن ذلك قيل لرعاع الناس الغوغاء[٨]، كما نعتوا بـ "السفلة " وهو لفظ ألصق عادة بهم، "والسفلة هم السقاط من الناس"[٩]، وسميت العامة أيضًا "بالأرذال" وتعني الدون من الناس وسفاءهم، وهم أهل الخصاصة والمسكنة، ففي معظمهم جوع وبرد[١٠]، ومن الأوصاف الأخرى التي أطلقت عليهم "الأوباش" ويطلق هذا اللفظ كما يقول الثعالبي[١١] "على جماعة من الناس إذ كانوا أخلاطًا وضروبًا متفرقين.

كما نعتوا بالسوقة[١٢] ويقول ابن منظور[١٣] في ذلك: "السوقة بمنزلة الرعية التي تسوقها الملوك وسموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم. يقال للواحد سوقة وللجماعة سوقة". ومن معاني العامة قيل الرعاع والزنادقة والهمج وأصل الهمج البعوض والهمج من الناس الذين لا نظام لهم[١٤]، وهم الطررون والغواة وأصحاب الإهانات، وأهل البدع والفتن.[١٥]

ويتضح مما سبق؛ أن طبقة العامة ذهبت ضحية أحكام مسبقة من قبل المؤرخين وكتاب التراجم، فالمصادر التاريخية وقفت موقفًا معاديًا منها واستنزلت عليها اللعنات ووصفتها بأوصاف حقيرة ونعتتها بعبارات الذم والقدح، وأدارت لها الظهر رغم مساهمتها الجادة والفعالة في بناء المجتمع وتطويره.

ويبدو أنه من المشاع لدى القدامى التمييز بين طبقتين رئيسيتين هما: "العامة والخاصة" إلا أن هذا التمييز لا يحمل دلالات طبقية، فبينما احتلت الخاصة المنزلة الأعلى في الهرم الطبقي شغلت العامة قاعدته، فالسوقة والجمهور هي أدنى المراتب[١٦]، بل وصمت شرائح كبيرة من العامة بنعوت حقيرة وخسيسة وقذرة مثل: الصباغ التي ضربت بقذارة رائحته المثل، أما الإسكافي فكان بيته مضرب الأمثال فقيل عنه "بيت الإسكافي فيه كل جلد رقعة ومن كل آدم قطعه"[١٧]. وقد تأثرت طبائع العامة وعاداتهم بالعمل الذي هو مصدر رزقها فالتجار الصغار والباعة المتجولون يشتهرون بالمماحكة والغش وتعاهد الإيمان الكاذبة على الأثمان، أما الفلاحون فقد وصفوا بالجهل والجفاء والقسوة والمذلة بسبب المغارم حيث "يكون الغارم ذليلاً بائسًا"[١٨].

٢/١-صفات طبقة العامة

تُعَدّ أبرز صفات العامة الجهل، حتى أصبح لفظ العامي يقابله العالم، فالعامة هم الذين لا يستضيئون بنور العلم، منهم جاهلون، فابن رشد[١٩] حرم على العامة الخوض في مسائل العلم لأنها فوق أفواههم وقد يؤدي بهم إلى التشتيت والفتنة، فالعامة كما يقول أبو حيان التوحيدي[٢٠] لا يعرفون العقل "إن قلت لا عقول لهم كنت صادقًا، وإن قلت لهم أشياء شبيهة بالعقول كنت صادقًا "، فالعامة متهمة بمعارفها، فنفوسها خبيثة وعقولها رديئة ومعارفها خسيسة، بينما المكي[٢١] يرى "بأن العوام بسطاء وأنهم معترفون بجهلهم لذلك فهم إلى الرحمة أقرب".

ومن الناحية الاجتماعية، يلاحظ أن معظم المصادر وقفت موقفًا معاديًا من العامة وعرتهم من كل الفضائل الاجتماعية ووسمتهم بالكذب والتصنع والملق وغيرها من الصفات الذميمة فلا يبيعون إلا القهورة والإيمان الخانشة، كما وصفوا بالفسق والدعارة والنهب، واللصوصية، والبغي، والنفاق.[٢٢]

أما من الناحية السياسية، فالمصادر التاريخية تنظر للعامة على أنهم يتسمون بالعناد والقيام بالسلب والنهب الفوضى وإثارة الشغب والقلاقل[٢٣]، وإن وصلوا إلى سدة الحكم يطغون ويظلمون ويعتدون على الناس ظلمًا وبهتانا[٢٤]ومن ثم انحصر دورهم في المهام الأمنية، إذ لم يسمح لهم أن يتقدموا الخاصة إلا في ثلاثة مواطن: إن ساروا ليلاً، أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلاً[٢٥]، وبعض المصادر دعت إلى عدم مجالستهم وتعاطي الحديث معهم[٢٦]، ومنهم من منعهم من الخوض في علم الكلام والتعاطي للسياسة[٢٧].

ومن الناحية الدينية يرجع أصل تسميتهم بهذا الاسم بسبب جهلهم بالأمور الدينية التفصيلية والتزامهم بالعموم فقط فهم يقرون بالله وبرسوله وكتابه وما جاء به رسول الله، ولهذا أيضًا وصفوا بأنهم لا يعرفون أسرار الشرع، وكذلك وصفوا بأنهم لا يعرفون علم الكلام والفلسفة[٢٨]، كما وصفتهم المصادر التاريخية " بالعاجزون عن التمييز بين الفاضل والمفضول، الفضل والنقصان، ولا معرفة للحق من الباطل"[٢٩]، وفي ذلك اتهامًا صريحًا لهم بتقصيرهم في القيام بواجباتهم الدينية باعتبارهم جماعة لا عقل لهم ولا ديانة، وامتزجت كثير من مفاهيمهم الدينية بالكثير من الخرافات لأنهم كانوا في العادة يطلبون الله عن طريق الحواس، كما أثر واقعهم المعيشي على أدائهم لشعائر الدين وفروضه، وبعضهم من تحرر من عقال القيم الدينية وانغمسوا في المعاصي، وفي ذلك يقول ابن الجوزي[٣٠] : "فإن وبخوا تكلموا كلام الزنادقة"، كما وصف عدد من الناس بأنهم من العامة على أساس أنهم

لم يقلدوا مذهبًا معينًا ولم يتخذوه منهجًا لهم في عبادتهم[٣١].

ومما سبق يتضح؛ أن معظم المصادر أدارت ظهرها لأي دور حقيقي للعوام في البناء الحضاري، بل جند تكل طاقاتها لتشويههم، وإعطائهم صورة قاتمة، وهو ما يعني تشويه سمعتهم ونفيهم عن عياض حضارة الإسلام، وهو ما جعل الدارسين يواجهون مشكلة تاريخية حقيقية إبان هذه الطبقة[٣٢].

ثانيًا: بنية طبقة العامة

عرف المجتمع الزياني كغيره من المجتمعات الإسلامية المعاصرة له الطبقية نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية والثقافية فحسب ما أورده ابن خلدون[٣٣] أن وضع الطبقات مراتب فيها طبقة بعد أخرى حتى ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد غالبة وفي أسفل إلى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين جنسه وبين ذلك طبقات متعددة. كما أن هذه الطبقات تختلف بين سكان المدن والقرى من حيث عددها ونوعيتها بين القرى وعاصمة الدولة وبقية مدنها. وقد ضمت طبقة العامة شرائح اجتماعية متنوعة شكل دخلها المحدود القاسم المشترك بينها، فشملت الفلاحين وصغار التجار وأصحاب المهن وغيرهم ممن تدفقوا على المدن بحثًا عن العمل فضلاً عن المهمشين والعبيد.

١/٢-فئة الفلاحين

يُعَدّ الفلاحون أهم شريحة من شرائح طبقة العامة في المغرب الأوسط، على اعتبار أن الفلاحة أهم مصدر لكسب العيش، وهذا ما ينطبق على ما ذهب إليه ابن خلدون[٣٤] في إشارته لكسب المعاش وأصنافه فذكر أن الفرد بإمكانه "تحصيل الرزق وكسبه من انبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وبإعداد ثمره".

ويمكن تقسيم المزارعين إلى ثلاث أصناف:

- مزارع مستأجر: وهو الذي يكتري أرض غيره لمده سنة أو أكثر، ويلتزم بدفع الكراء إلى صاحبها.
- مزارع مشارك لصاحب الأرض: ويعرف بالخماس، وكان عليه أن يقوم بجميع الأعمال بما في ذلك خدمة الحيوانات مقابل مشاركة الأرض بنسبة الخمس في إنتاج الأرض.
- مزارع موسمي: يعمل بالأجرة في أوقات الحرث والحصاد.

ومن الملاحظ، أن هذه الفئة عانت من كثرة الضرائب خاصةً في المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الزيانية مما دفع الكثير منهم لترك أراضيهم والبحث عن أعمال أخرى ومزاولة حرف أخرى كالصناعة التقليدية مثل المنسوجات والأواني المنزلية وغيرها. وكما عمقت الكوارث الطبيعية من سوء أوضاعهم المعيشية كتوالي سنوات القحط والجفاف ومهاجمة أسراب الجراد للأراضي المزارعين مما جعل الكثير منهم يعوضون خسارتهم بالالتجاء إلى الرعي الذي يتطلب الترحال.[٣٥]

٢/٢-فئة ذوي المهن

مثلت هذه الفئة غالبية سكان الدولة فالقاطع الحرفي يعد القاطع الإنتاجي الثاني في المغرب الأوسط بعد الفلاحة، ويتضح ذلك من خلال ما ذكرهم به يحيى ابن خلدون إذ وصفهم بـ" الفعلة"، فالزيانيون تميزوا بتنوع حرفهم وصناعاتهم، فكانت دار الصناعة تعج بهم، من دراق، ودراع، ولجام وسراج، ونجار، وحداد، وصناع، ودباج، وغيرهم حيث تسمع صوت ألاتهم وتعرض منتوجاتهم أمام السلاطين، فينصف العاملون من أرزاقهم عدلاً.[٣٦]

ومما يؤكد تنوع الحرف والصناعات أن العاصمة الزيانية اشتهرت بكثرة الأحياء التي تعج بهؤلاء الصناع والحرفيين، حيث كانت جميع الصناعات موزعة على مختلف الساحات والأزقة، وتعرف أسماء بعض طوائف الصناع والحرفيين في مدن الدولة مثل: حي الحرازين، وحي القصارين، ودرب السمّار، وسوق البراذعين، ودرب الصباغين، والحدادين، والخراطين، والحجامين والعطارين[٣٧]. ولم تقتصر الصناعات على داخل المدينة فحسب، بل كان بعضها يقام خارج أسوارها لما تحدثه من تلوث في محيط المكان أو تسبب إزعاجًا للسكان، وكذلك بعضها كان يحتاج إلى تدفق المياه فأقيمت في الغالب على ضفاف الأنهار والمنحدرات كدباغة الجلود والصباغة والحدادة والأرحية[٣٨].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفئة لاقت اهتمامًا من طرف السلاطين الزيانيين، مثال ذلك: أبو حمو الثاني الذي كان يشجع أصحاب الحرف، فكان يجالسهم في قصره يوم الجمعة، وكان من بين انجازاته تشييده لدار الصناعة سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٥م) وقد استقطبت هذه الدار الصناع على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ودياناتهم وصناعاتهم[٣٩].

ولم تقتصر الحرف والصناعات عن الرجال فحسب، بل كان للمرأة الزيانية المنتمية لعائلات فقيرة دورها في المجال فكانت تحاول تحسين وضعها المعيشي إذ كانت تصنع في بيتها النسيج من القطن والحرير والصوف، بعد شرائه وتنظيفه بالغسل والمشط، والغزل، والنسج، ثم تقوم ببيعه بعد ذلك. وكان نسيج البرانس للرجال والبرينسات[٤٠] للأطفال، وكذلك الزرابي والحبال في الغالب من غزل النساء ونسجهن، في منازلهن أو في بعض الورشات الخاصة.[٤١]

أما عن الاوضاع المعيشية للحرفيين والمستخدمين بالآجر اليومي فقد اتسمت بالدخل الضعيف مما يجعلوهم يحيون حياة الكفاف، أو شبه ما يكون بحياة الفقر والبؤس، ففي بعض الأحيان لا تتعدى أجورهم النصف دينار لكل شهر[٤٢]، مقارنة بأرباب الحرف والصناعات، والقائمون على الورشات والأشغال العمومية وعرفاء الصنائع، وأمناء الحرف، الذين كانوا يعيشون وضعية ميسورة، بسبب الرواتب المرتفعة، والأرباح العالية، التي كانوا يتلقونها من أعمالهم.[٤٣] وقد نوهت بعض المصادر أيضًا عن حالهم السيئ فالغبريني[٤٤] يذكر أن الفقيه أبا زهر الربيع كان يكتب في بجاية عند بعض الولاة، وبعد اعتزاله المهنة احترف الخياطة فساءت حاله، والحال نفسه بالنسبة إلى أبي العباس القطان الذي كانفي شبابه يمتهن حرفة الخياطة، لكنه شكا ابن الجد سوء حاله وضيق معيشته، فأشار عليه هذا الأخير بالزواج، لكن ابن القطان أجابه قائلاً: "أنا أشكو عن إقامة حالي فكيف بالزوجة ولي والدة كبيرة لا أستطيع القيام بمئونتها"، ولكن ابن مرزوق الجد أصر على إنكاحه من إحدى قريباته؛ فدفع له صداقها وأعطاه مالاً وأصبح ابن القطان بذلك يخرج مسافرًا للتجارة إلى فاس وسبتة وبجاية حتى تيسر حاله واستقر بتلمسان[٤٥] وهذا المثال يوضح الفرق الكبير بين الحال الذي يعيشها بعض الحرفيين خصوصًا الأجراء منهم، وحال التجار الذين يجنون من أسفارهم التجارية الأموال الطائلة.

٣/٢-صغار التجار

مثلت هذه الفئة أعداد كبيرة من المجتمع الزياني، وهذا الصنف من التجار كانوا يمارسون عملهم بمفردهم وأغلبهم يستأجرون المحال والمتاجر من كبار الملاك أو من الأحباس وبعضهم يعملون كمتجولين ببضائعهم من مدينة لمدينة ومتنقلين ما بين القرى.[٤٦] وكان التاجر الصغير يلجأ إلى التاجر الكبير المستورد في مختلف الأسواق، لتموين زبائنه بالسلع والبضائع التي تختلف أسعارها، حسب تكلفة إنتاجها ومشقة إحضارها. وكانت مدينة تلمسان تقدم خدمات كثيرة في مجال التجارة المتنوعة بالجملة والتجزئة. وكان هؤلاء التجار يسوقون بضائعهم في المحلات والدكاكين المتواجدة في كل حي ودرب من المدينة، وكذلك حول المسجد والقيصارية، أما البضاعة المستوردة تباع مباشرة لتجار التجزئة في المدينة؛ ويحول الباقي منها إلى القرى والأرياف والموانئ لتوزيعها على تجار هذه المناق عن طريق الوسطاء.[٤٧]

وهناك صنف أخر من سكان المغرب الأوسط ارتبطوا أشد الارتباط بالأنشطة التجارية كانوا ينتمون إلى فئة صغار التجار على الرغم من الأعمال الشاقة التي يقومون بها في الأسواق والورشات الصناعية كالحمالين والدلالين والبراحين ومرافقي القوافل التجارية، والمكلفين بحراستها، ويعد هؤلاء من أفقر العاملين في القطاع التجاري.[٤٨] وعلى الرغم من محاولة هؤلاء تحسين أوضاعهم المعيشية إلا أنهم كانوا يعانون من كثرة الضرائب وحدتها، فكانت تؤخذ على كل البضائع التي يتاجرون بها حتى انتشرت بينهم ظاهرة التهرب من الجباية الجمركية، وللحد من هذه الظاهرة حاول بنو زيان وضع بعض الإجراءات الجمركية بوضعهم على أبواب مدينة تلمسان عمالاً من أهل الذمة (اليهود والنصارى) يقومون بتفتيش التاجر بحثًا عن السلع الخاضعة للضريبة، ولم يقتصر هذا الإجراء على التجار الرجال فحسب وإنما شمل حتى النساء أوكل بهن

يهوديات وهي عميلة انفرد بها جباة تلمسان عن غيرها.[٤٩]

٤/٢-فئة العبيد

يأتي العبيد أو ما يعرف بالرقيق الأسود في أسفل السلم الاجتماعي، فقد كانوا موجودون من بين العناصر الاجتماعية المختلفة التي عرفها المغرب الأوسط فقد كانوا يجلبون من بلاد السودان حيث كانوا يصطادونهم من حافات الغابات الإفريقية فيسبون الرجال والنساء والأطفال ويبيعونهم لتجار المغرب واليهود الذين ينقلونهم إلى الشمال الإفريقي، ومنها إلى العالم الإسلامي وأوروبا لازدياد الطلب عليه وقد حققوا من وراء هذه التجارة أرباحًا طائلة[٥٠].

ثم أخذت اعدادهم تتضاعف في عهد الدولة الرستمية نظرًا لما تمتعت به تاهرت من رخاء اقتصادي وتجاري، وتزايدت أكثر في عهد الدولة الزيانية وذلك لأن الحياة الاقتصادية في المدن والحقول تعتمد على اليد العاملة المستأجرة، حتى أصبحت تجارة الرقيق تأتي في المرتبة الثانية بعد تجارة الذهب.[٥١] وتمحورت أهم مهامهم في العمل في القصور والحقول والجيش، ومنهم من الجواري اللائي يسخرن للخدمة في المنازل والقيام بشؤون الأسرة وتربية أبنائها فقد كان في كل بيت تلمساني عريق خادم ووصيفة وأكثر من خادم عند الطبقة الميسورة، كما كانوا يرافقون أسيادهم في سفرهم وترحالهم لخدمتهم ومساعدتهم[٥٢].

ولكثرتهم في المجتمع الزياني ازدهرت أسواق النخاسة والرقيق فقد كانت أثمانهم تتراوح ما بين ٢٥ إلى ٦٠ دينارًا، والآمة السودانية بيعت في بلاد المغرب بألف دينار وأكثر، وكان سعر العبد في قصور توات التابعة لنفوذ بني زيان في المتوسط يساوي أوقيتين من الذهب، أما الفتاة التي لا يزيد عمرها عن خمس عشرة سنة تساوي ستة مثاقيل، أما الأطفال وكبار السن فيقدر ثمنهم بنصف ذلك. ومن الملاحظ ويتضح من ذلك أن أسعار العبيد كانت تخضع لأعمارهم وحالته الصحية وقوته البدنية.[٥٣]

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الشريحة عانت من سوء الظروف الاجتماعية فقد عاشت هذه الفئة المتمثلة حياة صعبة وظروف مزرية وصلت إلى حد الإذلال، ولم تحترم كرامته، فقد كانوا يورثون كما تورث الأملاك أو الأراضي، ولا يتخلصون من قيد العبودية إلا إذا ترك أسيادهم وصايا تنص على تحريرهم[٥٤] وهذا ما يدل على مدى معانة هذه الشريحة داخل المجتمع الزياني آنذاك. فقد كان خضوع العبد لسيده يكاد يكون مطلقًا، ولا يحق له التصرف في أمر من أموره إلا بإذن من سيده، بالإضافة إلى انتشار بعض الأمثال الشعبية بين العامة تحتقر هؤلاء العبيد وتنهى عن مخالطتهم ومجالستهم ومن بينها: "مَنْ خالط الخدم ندم"، أو مثل: "الخديم لا يكون نديم"[٥٥] كل هذه الأمثال دعت إلى تجنب الاختلاط بهم وضرورة استعمال الشدة والقسوة في معاملاتهم حيث كان شتمهم أو إهانتهم من الأمور المألوفة داخل المجتمع آنذاك.[٥٦]

٥/٢-الفئة المهمشة

أما مَنْ لم يسعفه الحظ في إيجاد حرفًا ما، فسلك طرقًا أخرى من أجل العيش، نذكر منهم قطاع الطرق واللصوص الذين يتربصون بالناس والتجار الغرباء القادمين من مصر وإفريقية والأندلس وبلاد السودان وغيرها.[٥٧] ومنهم كذلك المتسولة الذين كانوا يتكففون الناس ويعيشون منهم، فكانت تعج بهم شوارع المدن الكبرى حيث سلكوا طرقًا مختلفة لكسب عطف الناس عليهم، وتجدر الإشارة أن التسول انتشر بين الرجال والنساء على السواء، فمنهم من كان يدق أبواب المنازل، ومنهم من كان يجلس على الطرقات أو قرب المسجد، فابن عبدون ذكر أنهم كانوا يستغلون فرصة يوم الجمعة لولوج المساجد قصد استعطاف المصلين، لذلك نبه القائمين على شؤون المسجد "ألا يترك ساع في رحاب جامع"[٥٨]. ومنهم من كان يقومون باستغلال المناسبات والمواسم الدينية لكسب عطف الناس ولتلقي عطائتهم[٥٩]. ومنهم البطالين وأهل السجون وارذال الناس، إضافة إلى فئة تدعى الغرباء كانوا يستخدمون طرقًا ملتوية للأكل أموال الناس بالباطل وانتزاعها منهم بشتى الطرق.[٦٠]

ثالثًا: مظاهر الحياة الاجتماعية لطبقة العامة

لم يكن غريبًا على مجتمع تميز بتفاوت طبقي وقائم على أساس حيازة الثروة أن ينعكس بشكل واضح على مظاهر الحياة الاجتماعية للطبقات المشكلة له، فطبقة الخاصة تلونت ألبستها وموائدها وتمتعت بأعيادها وأفراحها، بينما قل رزق العامة رغم التأثير الذي مارسته على التطور التاريخي للمجتمع. فقد أغلقت أمامها كل القنوات لتحسين وضعها الاجتماعي وكانت عرضة للجوع والقهر والذل مما انعكس على حياتها الاجتماعية والذهنية.[٦١]

١/٣-المأكل

تخضع نوعية معيشة أهل المغرب الأوسط كغيره من سكان الحواضر الإسلامية إلى المستوى الاجتماعي والمادي كلا حسب التصنيف الطبقي للمجتمع الزياني، فإذا كانت الطبقة الخاصة تتأنق في الأكل والمشرب، وتتفنن في ضروبه وأصنافه، ولا تبخل على أسرها وتتوسع في النفقات عليها، فالطبقة العامة من الناس كانت تتميز بالبساطة[٦٢]، فعامة الناس غالبًا ما كانوا يضطرون لقلة كسبهم إلى الإقبال على العناصر النباتية الأرخص سعرًا والأسهل منالاً، ينطبق نفس الشيء على المأكولات المتخذة من الشعير والخضر والبقول، وأصناف الحبوب مثل الأسفنج والثريد والمسمنات والخبز، واحتل الفول مكانة خاصة من بين المأكولات الأساسية للعامة، والباذنجان الذي وصفته العامة بأنه "زبد في وعاء"[٦٣]

كما كانت أكلة الكسكسي والدشيش في مقدمة المأكولات فالطبقة الفقيرة كانت تستعمل هذا النوع من الطعام يوميًا كوجبة للغداء والعشاء، وفي بعض الحالات يكون مصنوع من الشعير، وكذلك الخبز. ومما يدل على ذلك ما أورده ابن مريم في ترجمته لسيدي محمد بن عثمان بن يعقوب الورنيدي فقال في شأنه رضي الله عنه لا يأكل إلا خبز الشعير بالإدام.[٦٤]ولم تكن الشرائح الفقيرة تتناول خبز القمح لغلائه واستهلكوا بدلاً له خبزًا صنع من الشعير[٦٥]. وكثيرًا ما اكتفت العامة تحت ضغط الفقر والفاقة إلى أكل الخبز واللبن أو الخبز والعسل أو الخبز وزيت أركان التي لم تكن على مستوى الأصناف الجيدة. وبالمثل انعكس التمايز الطبقي على صناعة المري فإلى جانب المري الجيد كمري الحوت وغيرها من الأنواع التي دأبت طبقة العامة على استهلاكها هناك " مري العامة المتخذ من دقيق الشعير والعسل المحروق"[٦٦].

ونظرًا لانخفاض المشكلات الاقتصادية وانخفاض المستوى المعيشي لطبقة العامة اقتصر بعضهم على صنف واحد من الطعام لا يتعداه في غالب الأوقات، بينما كان غيره لا يزيد غذاؤه على العصيدة يوميًا.[٦٧] وفي أوقات المجاعات اعتاد أهل المغرب الأوسط على أكل الجراد بأن أصبح وجبة أساسية في موائدهم لأنه حلال ويسد الرمق رغم علمه بمضاعفاته الصحية السلبية فهو "حار يابس قليل الغذاء وإدامة أكله تورث الهزال.[٦٨]

كما أعتاد العامة في إبان المجاعة على جمع بلوط الغابات ونشره حتى يجف ثم يطحن ويخلط بحشائش أخرى ويصنع من دقيقه الخبز والرغيف، وكما أقبل الجياع على أكل علف الماشية مثل نبات الشيلم الذي كان " يطحن ويختبز ويعتصد ويعاش منه في المحل"[٦٩]. كما اقبل الجياع فيبعض سنوات المجاعة على أكل فيتور الزيتون لأنه كان كثير بالبوادي الخالية فتجتلبه الضعفاء ويقتاتون منه، كما اضطروا إلى أكل خسيس الحيوان[٧٠].

٢/٣-الملابس

وإذا كنا لم نعثر على تفاصيل كثيرة عن الملابس فيجب علينا الرجوع إلى ما قبل عصر بني زيان وهو العصر الموحدي، لأن تلك الملابس لا تتغير بين عشية وضحاها [٧١]. ومن الملاحظ أن اللباس يعكس الفروق الاجتماعية أكثر مما كان يعكسها الغذاء. فالزي يحمل دلالات اجتماعية بالغة الأهمية تكشف عن الاختلافات العميقة بين مكونات المجتمع المغربي في العصر الوسيط ففي الوقت الذي كانت فيه ملابس طبقة الخاصة مصنوعة من القطن والحرير والكتان والصوف الرفيع، كما ان الوانها وخفتها وخشونتها تخضع لفصول السنة فكانت لهم ملابس خاصة بالصيف وأخرى خاصة بالشتاء[٧٢]، فكانت لهم "ثياب النزهة، وثياب الحمام، وثياب العرس لكل حال ما يليق بها".[٧٣]

أما العوام فامتازوا -على تباين فئاتهم- بين الجبة والكساء والعمامة والسراويل والبرانيس والدراعة وغيرها والغالب على تلك الألبسة أنها مصنوعة من الصوف على اعتبار أن لباس الصوف يعد لباسًا عامًا شاع استعماله في بلاد المغرب، فتشير المصادر التاريخية إلى لبس الجبة المصنوعة من الصوف في شتى أنحاء المغرب والأندلس[٧٤]، وكان أهل البوادي يلبسون الألبسة الخشنة والبسيطة من الكتان والصوف ويرتدي الصناع لباسًا قصيرًا ويتعمم قليل منهم، ويضع البعض منهم الآخر قلانس على رؤوسهم بدون ثياب وينتعلون نعالاً تعلوا نصف الساق وهم أُناس بسطاء يتحلون بالأدب، ويتقنون عملهم بمهارة[٧٥]، ومنهم من اتخذوا لأقدامها الخف المصنوع من الدوام والحلفاء، وكانت غالبيتهم حافية الأقدام وخاصة في البوادي.[٧٦]

أما زي العرب فإنهم كانوا سواسية في لبس المخيط وربما ألقوا رداء على ظهورهم والتفوا بإزار، واتخذوا العمائم التلمسانية والبرنوس الزناتي ونستخلص مما رواه القلقشندي عن زيهم في العصر الموحدي أن الأشياخ والعامة كانوا على زي واحد، لا يمتاز بعضهم على بعض إلا في شيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو الذي يتمثل في صغر العمائم، وضيق القماش"[٧٧]، كما أنهم يتلثمون تحت أذقانهم بأطراف عمائمهم متأثرين في ذلك بزناتة.[٧٨]

ويضاف إلى ذلك ما يصفه ابن صاحب الصلاة في قوله: "وكسى جميعهم بالقباطي[٧٩] والقمص والغفائر[٨٠] والعمائم". وفي موضع أخر يقول: "ثم أعطى الكسوات للموحدين والأشياخ من كل قبيلة ولطلبة الحضر والعرب بأن أعطى كل واحد ستة أثواب: عمامة، وغفارة، قبطية، مبطنة، ومقطعين ومهدويين وكساء".[٨١] ويتضح من النصوص السابقة أن زي العامة من العرب بالمغرب كان القبطية، والقمص والغفائر والعمائم.

ولم يختلف لباس النساء كثيرًا عن لبس الرجال فقد اتخذت النساء الفقيرات الكساء والملحفة والإزار علاوة على البرنس والجبة وتزينت بأقراط وخواتم مصنوعة من الحديد والنحاس، بينما تحسنت بعضهن بوسائل مختلفة منها الوشم والذي يعتبر من العادات المتبعة عند البربر منذ عصور ما قبل التاريخ، ولم يكن لبس السراويل شائعًا في صفوفهن.[٨٢]

٣/٣-السكن

وبالمثل انعكس التمايز الاجتماعي على سكن طبقة العامة، وكان اقتناء علية القوم للقصور الشاسعة والمزخرفة بشتى الألوان والأشجار دليلاً ناصعًا على عمق التمايز الطبقي بالمغرب، على عكس طبقة العامة فقد كانت بيوتها مغطاة بالطين أو الكلاء (الديس) وهذا النوع يعبر عن الدور البسيطة التي يطلق عليها اسم القربى في بلاد المغرب الإسلامي ويكون مغطاة بالنباتات الجافة كالديس والحلفاء ومن بين الذين تعرضوا للمنازل ابن مريم[٨٣] فيقول عن تلك المساكن أنها مزودة بإصطبلات الخيل وهي منفصلة عن المساكن وبالقرب منها بيوت مخصصة للضيوف. ونظرًا لتفاقم وضعية العامة الاقتصادية فإن عدة شرائح دفعتها الفاقة والفقر المدقع إلى سكنى الكهوف والمغاور، والربط، ومنهم من لجأ إلى المسجد أو السكن مع الجيران أو في المقابر أو الخيام.[٨٤]

أما ما تحتويه منازلهم من أثاث فهو متواضع وبسيط يقدم صورهم عن مستواهم المعيشي البسيط فبجانب الأدوات الضرورية والمصنوعة من الخشب أو من الخزف لتحضير الأطعمة والاحتفاظ بها، توفرت دور العامة على حصور بالية ووسادات من الدوم للجلوس والنوم، كما أنها مزودة بالقليل من الأدوات المنزلية كسراج للإضاءة والقدور وأطباق، فضلاً عن أرحاء لطحن الحبوب، بينما استعمل بعض العامة جلود السلاحف معاجن للدقيق[٨٥].

٤/٣-أوضاع المرأة في المجتمع الزياني

دفعت سوء الأوضاع الاقتصادية نساء العوام تحت ضغط الحاجيات المعيشية الملحة لتحصيل الرزق والانخراط في الحياة الاقتصادية في كفاح يومي من أجل الحصول على لقمت العيش. فقد نجحت بعضهن في سوق العمل، فمنهن القابلات، والجنازات، والطباخات، والخادمات، والأمينات، والماشطات، والغازلات، للصوف.[٨٦]

وفي المجال الزراعي ساهمت المرأة في البادية رغم ضعف وسائل الإنتاج في تنمية ممتلكات الأسرة حيث إنها تشتغل إلى جانب زوجها برعي المواشي والعمل في الحقول، مثل الاعتناء بالأشجار وجمع ثمارها والحصاد وجمع الزرع، إلى جانب الأشغال التي يتطلبها البيت كسقي الماء، واحتطاب الحطب للطبخ والتدفئة، كما كانت تسهر على إعداد الخبز، وهذه الأعمال كانت مألوفة لدى المرأة منذ القدم[٨٧].

وعلى الرغم من السلبيات والنقائص التي ارتبطت بوضعية المرأة فأن كثيرًا من الأنشطة أمنت لها قدرًا من الحرية الاجتماعية تجلت في مظاهر شتى كالخروج للأسواق وبيع منتوجاتهن، أو لشراء احتياجاتهن الضرورية، فضلاً على ارتيادهن الحمامات، ومشاركتهن في الاحتفالات، إلا أنه في ظل تفاقم الأزمات الاقتصادية دفعت بقسم منهن لاحتراف التسول، أو الدعارة والاتجار بالأعراض[٨٨].

٣/٥-الاحتفالات بالأعياد الدينية

كان للعوام حضور في إحياء الاحتفالات الدينية على الرغم من الأزمات الاقتصادية وازدياد الفاقة والفقر فحظي شهر رمضان بمكانة لا تقل عنه عند العامة، فهو شهر الغفران وتقدم فيه الصدقات والعطاءات للمعوزين والفقراء، فضلاً عن إحياء ليلة السابع والعشرين منه باعتباره مناسبة لإقامة السماع والرقص والذكر في المساجد والمنازل، كما لم يفوتهم الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى ففيها تخرج الزكاوات على المحتاجين[٨٩]، إلى جانب هذه الأعياد احتفل المغاربة بعيد المولد النبوي الشريف فكان السلطان أبي حمو موسى الثاني منذ توليه العرش الزياني سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) فكان يدعو كافة الناس، خاصتهم وعامتهم بحضور هذا الاحتفال حيث كانت توزع عليهم أصناف من الأطعمة[٩٠]

رابعًا: أثر المجاعات والأوبئة على طبقة العامة

كانت إعداد الموتى جراء الأوبئة والطواعين في مجتمع المغرب الأوسط إبان هذه الحقبة يتصدرها أناسٌ من العامة والفقراء بسبب قلة الإمكانيات وسوء التغذية، خصوصًا منهم الأطفال والصبيان، فقد مات الصبيان في تلمسان جراء وباء كان قد أصابها في فترة استقرار الرصاع بها، وهو يزاول دراسته الابتدائية فقد سافر المؤدب الذي كان يدرسهم وخلا المسجد من الصبيان بسبب هذا الوباء الذي لا نعلم زمنه تحديدًا[٩١]

كما شكلت المجاعات خطرًا حقيقيا على السكان بشكل عام وعلى طبقة العامة بشكل خاص خلال العهد الزياني فبفعل الحصار الذي فرضه المرينيون على عاصمة الدولة الزيانية تلمسان من سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) واستمرارها إلى غاية (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ولطول فترة الحصار والذي دام تقريبًا ثماني سنوات وثلاثة أشهر تعرضت عاصمة الدولة الزيانية لمجاعة قاسية راح ضحيتها أعداد كثيرة من السكان فكادت عاصمة الدولة أن تكون خالية من سكانها الذين كان عددهم يفوق تقريبًا مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة[٩٢]، كما لا يفوتنا ذكر تأثيراتها الاقتصادية إذ تسببت هذه المجاعة في تراجع العديد من الصناعات والحرف التي اشتهرت بها بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بسبب هلاك اغلب الصناع والحرفيين إبان هذه المجاعة ويصف ابن أبي زرع صورة عن الانهيار الذي تعرضت له تلمسان جراء هذا الحصار بقوله " وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك [٩٣]، وكان نتيجة لإعصار الذي ضرب تلمسان سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) هلاك المزارع وموت الحيوانات مما تسبب في حدوث مجاعة كان لها أثارها على عامة المغرب حتى أكل الناس بعضهم بعضًا[٩٤]

وكان لتوالي انتشار وباء الطاعون على بلاد المغرب الأوسط أثره المباشر على طبقة العامة بالخصوص فوقعه لم يكن كوقعه على باقي الفئات الاجتماعية الأخرى وإنما كان أكثر فتكًا في الفقراء والضعفاء، ففي عهد السلطان أبو سعيد عثمان الثاني (٧٤٩ ـ ٧٥٣هـ/ ١٣٤٨ ـ ١٣٥٢م) تفشى وباء الطاعون وقضى على خلق كثير من الناس وكانت العاصمة الزيانية أشد تضررًا منه، إذ قضى على عائلات بأكملها ويصفه ابن الخطيب بقوله " ووجدنا الطاعون في بيوتهم قد نزل، واحتجز منهم الكثير إلى القبور.."[٩٥] ثم عاد مرة أخرى في عهد حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني (٧٦٠ ـ ٧٩١هـ/ ١٣٥٩ ـ ١٣٨٩م) ليفتك ممن تبقى من سكان البلاد، وكان

وباء سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م) أكثر ضررًا إذ أجمعت المصادر على أنه أتى على الصغار والضعفاء بل لم ينجوا منه حتى العلماء فقد توفى به عالم تلمسان ومفتي بلاد المغرب الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المغراوي الشهير بابن زاغو، وهو دليل على أن هذا الوباء أصاب العامة والأسياد والشيوخ بدون تمييز[٩٦]

ولعل من الأسباب المساعدة في ارتفاع عدد الوفيات بهذا الشكل سوء التغذية، والأمراض التي كانت تفاجئ السكان من الحين إلى آخر، وقلة النظافة والوعي الصحي بين أوساط العامة من الناس خاصة الطبقة الفقيرة منها.

وبسبب المجاعات والأوبئة المتلاحقة التي شهدتها المنطقة مجال الدراسة ردود فعل متباينة من قبل عامة السكان عبروا عنها بأشكال مختلفة في إطار سعيه للحد من خطورة هذه الكوارث، متبعين في ذلك سلوكًا عدوانيًا ؛ كامتهان البعض لحرفة السرقة والنهب وقطع الطرق[٩٧]، وهذه الظاهرة تزداد ويستفحل أمرها في أوقات الضيق والشدة الناجمة عن هذه الكوارث، فقد أشار لها ابن قنفذ[٩٨] الذي اضطر للإقامة في تلمسان لمدة شهر بسبب انعدام الأمن في الطرقات جراء المجاعة التي ضربت البلاد سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، كما كانت مجاعة سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) سببًا في ظهور قطاع الطرق واللصوص بمدينة تلمسان، فأصبحت الطرق غير آمنة، يذكر العبدري[٩٩] في رحلته لها أنه وجد طريقها منقطعًا مخوفًا يسلكه الناس بحذر، ولا يسلم منع أحد. فاللصوصية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الزيانية أصبحت مهنة يكتسب أصحابها أموالاً طائلة، وعلى سبيل المثال تعرض له الرحالة المصري عبد الباسط خليل للسرقة عندما كان مقيمًا بمدينة تلمسان، وكذلك الحسن الوزان الذي سُرق جواده في أثناء زيارته لإحدى الأسواق بقلعة بني راشد[١٠٠]

ومما سبق يتضح؛ أن الأوضاع غير المستقرة أثرت سلبًا على القيم الأخلاقية للإنسان، فاستفحلت ظاهرة السلب والنهب، وانتفى بسببها التعايش داخل المجتمع في مراحل حرجة استهدفت فيها مصادر عيش الإنسان، سواء المنقولة أو الثابتة.

خامسًا: دور السلطة والفقهاء والأولياء في مواجهة المجاعات والأوبئة

١/٥-دور السلطة

من المعلوم أن الدور السلطوي في المجتمع إبان الأزمات كان نابعًا من منطلق رغبة السلطان في تثبيت أركان ملكه، وذلك من أجل الحصول على شرعيته للحكم على أساس موالاة الرعية له تستلزم عليه الوقوف إلى جانبهم في أوقات المحن، والنظر في أحوالهم عندما تحل بهم جائحة من جوع أو مرض، أو سيل أو عدو أو غير ذلك من الأزمات[١٠١]، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال الوصايا الملكية التي صاغها السلطان أبو حمو لابنه وولي عهده، حتى يكسب ثقة رعيته ويستتب له الملك، ويقول في ذلك "كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وازل، فترفق بهم في المخازن والمجابي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابى، وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنته من الطعام مما يقام به أود الناس في ذلك العام، فإذا كنت يا بني عاملاً على هذا الأسلوب جبلت على محبتك كل القلوب، ودعت لك الرعية ببقاء الدولة والتمهيد والنصر والتأييد، وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيتك"[١٠٢]. ومن خلال هذا النص يتضح أن السلطة لم تتوان عن مساعدة عامة المجتمع كلما سنحت لها الفرصة، وخصوصًا عند قيام أي خليفة بإصلاحات جديدة داخل المجتمع.

وقد حاولت السلطة الزيانية اتخاذ عدة إجراءات احترازية لمواجهة بعض الكوارث الطبيعية كالقحوط والمجاعات على سبيل المثال ومنها: ادخار الطعام في أوقات الرخاء، ففي هذا الصدد عمل حكام وسكان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط على إنشاء مخازن للغلال(الأهراء) لتخزين المؤن والأطعمة القابلة للتخزين؛ لتخفيف من حدة القحط والمجاعة[١٠٣]، فقد أدى القحط الشديد الذي شهدته بلاد المغرب على مدى سنوات عدة إلى ارتفاع الأسعار مما جعل الدولة تفتح المخازن وتبيع الحبوب بأثمان زهيدة، حيث أمر السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (٧٦٠ ـ ٧٩١هـ/ ١٣٥٩ ـ ١٣٨٨م) بفتح مخازن الطعام وبيعه للناس بعد تخفيض

سعره أثناء المجاعة الكبرى التي وقعت سنة ٧٧٦هـ/١٥٧٤م، كما تصدق بنصف جبايته لفقراء تلمسان، وقسم عليهم الأرزاق بالعدل، وضم الفقراء والمحتاجين في بيمارستانات، يأتيهم رزقهم بشكل يومي حتى نقضت المجاعة[١٠٤] .

كما لم تتوان السلطة في إغاثة، الفقراء والمحتاجين ومساعدتهم فكان السلطان أبا الحسن المريني يعتني بهذه الشريحة أثناء استيلائه على تلمسان ومكوته بها، فقد وزع على فقراء تلمسان اثنا عشر ألف دينار اثنا عشر ألف كساء، ومن الطعام مطامير لا تحصى كثرة "[١٠٥]. وكانت له صدقات جارية، مستمرة على اليتامى ويجمع صبيان العامة للختان، وفي يوم عاشوراء ويكسوهم، ويقدم لهم بعض المال وما يكفيهم من اللحوم[١٠٦].

وفيما يخص الدور الصحي الذي تجسده البيمارستانات فبالإضافة استقبالها المرضى ووصف الدواء المناسب لهم، كان لهذه المؤسسة دور آخر تجلى بوضوح أوقات الأزمات، فقد تحولت إلى ملاجئ خيرية يأوي إليها غالبية الفقراء والمساكين، الذين تجمعهم الدولة حتى يسهل عليها توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم على أكمل وجه، وفي ذلك يقول يحيى بن خلدون: "ثم اقتضى نظرة الكريم (السلطان أبو تاشفين الزياني) أن ضمهم أجمعين بيمارستانات بآتيهم فيها رزقهم بكرة وعشيا شتاء السنة"[١٠٧]

أما في أثناء انتشار الأوبئة فالسلطة اتخذت إجراءات وقائية عند حدوث الوباء كأن تمنع الناس من الدخول إلى المدينة الموبوءة أو الخروج منها، كوسيلة لاحتوائه والحد من انتشاره في مناطق أخرى[١٠٨]

٢/٥-دور الفقهاء والقضاة

تندرج جهود الفقهاء والقضاة في مجتمع المغرب الأوسط زمن المجاعة ضمن مهامهم التنظيرية، سواءً على مستوى التشريع الفقهي بتقديم بعض الرخص أو على المستوى الفعلي للتخفيف من أثار هذه الأزمات على الناس، فقد أجاز الفقهاء بيع بعض الأراضي المحبسة على الفقراء وصرف ثمنها عليهم زمن الشدة خوفًا عليهم من الهلاك والجوع، فقد اجتهد أحد قضاة المغرب الأوسط وباع قاعة كانت ملكًا لرجل غاب عن وطنه، وصرف ثمنها على أولاده في وقت المجاعة، واستشير قاضي الجماعة في صحة هذا الاجتهاد فأقر صنيعه[١٠٩].

وقد منع الفقهاء والقضاة أيضًا على التجار أوقات المجاعات احتكار السلع، وقاموا بحثهم على إخراج الطعام المدخر وبيعه في الأسواق لحاجة الناس إليه بسعر معقول، كما أنهم شددوا العقاب على التجار إذا ما تبين امتناعهم عن إخراج سلعهم لبيعها، كما شددوا النكير على ملتقى السلع في الفنادق وألزموهم بإنزالها إلى الأسواق ليدركها الضعيف والقوي[١١٠].

ولا ننسى دور شرفاء المغرب الأوسط أيضًا ممن كانت حالهم ميسورة في هذا المجال، من خلال أعمال البر والتكفل بالفقراء، فيقول أبو عبد الله محمد الشريف عن أحد الشرفاء: "أما محمد الأصغر بن محمد بن خالد بن عمران بن صفوان مكث بزاوية أبيه بمديونة بحوز تلمسان أقام بحقها، وكان يكسي العريان ويطعم الجائع ويفدي الأسارى وكان مقصود لذلك"[١١١].

٣/٥-دور الأولياء

الدور الريادي الذي لعبه الولي في بلاد المغرب الأوسط جعله المرشح لأن يكون بمثابة الزعيم الروحي في المجتمع، علمًا أن الاعتقاد به والإيمان العميق بكل الطقوس الصادرة عنه؛ من كرامات وخوارق ومكاشفات ظلت ذهنية راسخة في نفوس أفراد هذا المجتمع حكامًا ومحكومين[١١٢].

والظاهر أن العامة وجدت في الأولياء والمتصوفة ما يتناسب مع أوضاعها ويوافق تطلعاتها، فهو إفراز لواقعها المعيشي، واعتبارًا لثقل ما عانته من الآم ومشاق متنوعة، وما صادفته من صعوبات في تغيير واقعها، اعتقد العوام في الخوارق والكرامات ووجدوا فيها عزا التخفيف من ويلات الدنيا ومجالاً للتمني وانتظار الفرج والحلم بحياة أفضل[١١٣]

وقد لعب المتصوفة دورًا في إغاثة المحتاجين ومد يد المعونة للمعوزين، وذلك للتخفيف من حدة التناقض الاجتماعي بين بذخ الخاصة وفقر العامة، وانتشرت بذلك عادة الإحسان إلى الفقراء من تقدميات نقدية أو

مواد استهلاكية[١١٤]، فتصدق أبو العباس أحمد بن مرزوق بمطامير من القمح والزيت والفحم كانت له على الفقراء والمحتاجين ولا يرجع إلى بيته إلا بعد أن يفرغها[١١٥]، كما كان يتصدق بالخبز كل يوم وبالثياب كل سنة، وتضيف رواية أخرى أن ابن عم ابن مرزوق تصدق بكل غلاة داره وقت أن كانت تلمسان في حالة من الضيق[١١٦] وكذلك تصدق أبو الفضل بن محمد القرشي القرطبي (ت ٦٦٢هـ/١٢٦٣م) لأحد فقراء بجاية ممن لا يملكون قوت يومهم بصرة من الدراهم، ولم يكن المال لينقص منها على الرغم من شراء الفقير عدة أشياء حتى تيسر حاله[١١٧]، وقد كان أبو عبدالله بن أبي بكر بن مرزوق يهب المال لمن يريدون التجارة فيجنون من وراء ذلك أرباحًا طائلة[١١٨]، وكان يشتري بالقليل من المال الأشياء غالية في حقيقتها، فقد اشترى كبشًا بربع درهم، كما لم يكتف عن هذا الصالح بذلك بل كان يكتال من زراعة للضعفاء طوال السنة، ويخرج لهم مقدار من المال والقمح صدقة كل جمعة[١١٩].

وقد أصبحت الزاوية المكان الذي يأوي إليه هؤلاء الفقراء والمحتاجين لأنهم وجدوا فيها ما يحتاجون من الخيرات التي ترد على شيوخها، فقد كان الشيخ محمد الهواري الذي تأتيه الصدقات من كل البلاد يتصدق بها كلها على الفقراء ولا يترك لنفسه شيئًا، وكان يحث كل الواردين عليه من تجار وأغنياء " بإخراج الزكاة وأنها مطهرة للمال"[١٢٠]، ومثله في ذلك الشيخ الحسن أبركان الذي كانت تأتيه الصدقات من كل البلاد حتى من السودان؛ فيجمع كميات كبيرة من الذهب ولا يذخر لنفسه شيئًا بل يفرقه على المساكين وطلاب العلم[١٢١]، ولم يكتف الشيخ الصالح أحمد الغماري بتفريق ما يصله من الذهب والذي يقدر بمائة والمائتين أو الصدقات على الفقراء والمساكين، بل كان يقوم بخدمة المرضى منهم بنفسه ويحمل الطعام والماء إلى منازلهم ويطمئن على أحوالهم.[١٢٢]

وذكر لنا الوزان أن أحد الأولياء الصلحاء القاطن في إقليم البطحاء قد اشتهر بالغنى وكانت تصله الصدقات من كل البلدان لأن صيته قد ذاع في الأفاق؛ فيجمع سنويًا من ذلك مبلغ يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف مثقال فيطعم به كل الفقراء فكانت زاويته ملجأ للغرباء حتى كثر عدد مريديه[١٢٣].

ولم تكن كرامات تجاوز أزمة الجوع لتنقع بعد موت الأولياء، بل تستمر في نظر المجتمع بعد حتى موتهم، فقبورهم كانت بالنسبة إليهم من مقدسات العامة ومن المزارات التي يلجؤون إليها من كل حدب توسلاً بهؤلاء الصلحاء في تفريج الكروبات؛ خاصةً وهم يعتقدون بأن الدعاء عند قبورهم مستجاب، وحتى في أوقات المجاعة عرفت قبور الأولياء إقبالاً كبيرًا؛ وحسبنا في ذلك ما فعله ابن قنفذ الذي زار قبر الولي أبي مدين شعيب زمن مجاعة سنة ؛ فدعاء عند قبره أن يخفف الله عنه مشقة السفر، ويأمنه من الخوف فيقول مخاطبًا، فسهل الله له في سفره وانقلب الشر كله خير ببركة هذا الولي[١٢٤].

وقد أشار ابن قنفذ أيضًا وجود جماعة من المتسولين أو الفقراء والمحتاجين بإزاء قبر أبي مدين زمن هذه المجاعة؛ لعل الزائرين يشفقون عليهم ويتصدقون عليهم بما يحملونه إلى هذه القبور من طعام ومال، ولا شك أن الزوايا في هذه الأوقات قد كان لها دور كبير أيضًا في توزيع الصدقات التي يأتي بها الزائرون فيتصدق بها شيوخها على الفقراء كما سبق الإشارة[١٢٥].

ومن خلال صور التضامن والتكافل هذه نستطيع القول إن السلطة والصلحاء في مجتمع المغرب الأوسط قد شكل ثنائية كان إحداثياتها متوازنين أن لم نقل أن الثقل قد مال في كثير من الأحيان إلى جهة الصلحاء، ففرضت الأولى نفسها على المجتمع بقوة الملك والسلطان، وفرضت الثانية نفسها بقوة الكرامات والزهد والإيمان وبساطة العيش وخوارق العادات، وساهم كل منهما إلى جانب بعض الفئات ميسورة الحال في تحسين مستوى المعيشة فيه، والتقليل من درجة الفقر والمساهمة في رأب فجوة التفاوت الطبقي بين فئات هذا المجتمع.

خَاتِمَةٌ

من خلال دراسة موضوع طبقة العامة بالمغرب الأوسط في العهد الزياني يمكن استخلاص الآتي:

- ساهم العامل الاقتصادي بشكل فعال في صياغة البناء الطبقي للمجتمع المغربي في العهد الزياني واحتلت فيه طبقة العوام القاعدة الدنيا رغم مساهمتها في تشكيل عصب الإنتاج في المجتمع آنذاك.
- ذهبت طبقة العامة ضحية أحكام مسبقة من قبل المؤرخين وكتاب التراجم فالمصادر التاريخية وقفت موقفًا معاديًا منها واستنزلت عليها اللعنات ووصفتها بأوصاف حقيرة ونعتتها بعبارات الذم والقدح كالسفلة، والأوباش والسوقة وغيرها من العبارات، وأدارت لها الظهر رغم مساهمتها الفعالة في بناء المجتمع وتطويره.
- أن الشرائح المكونة لطبقة العامة ليست كلها متجانسة لا من حيث دخلها ومستوى عيشها، ولا من حيث مالها وأفاق تطوره، ولا من حيث مالها وأفاق تطورها، كما أنها لا تجتل كلها نفس الموقع في عملية الإنتاج.
- مظاهر الحياة الاجتماعية العامة من مأكل وملبس وسكن واحتفالات وغيرها كانت انعكاسًا للتمايز الطبقي الذي هو من نتائج الوضع الاقتصادي.
- كان تأثير المجاعات والأوبئة عل العامة قوي جدًا وذلك نتيجة لضعف الإمكانيات وسوء التغذية ويتجلى ذلك واضحًا في ارتفاع ضحايا الموتى وزيادة أعداهم مقارنة بطبقة الخاصة التي تمتلك كل الإمكانيات الطبية والوقائية.
- تباينت مواقف السلطة اتجاه العامة إبان المجاعات والأوبئة حسبًا لقوة الاسرة الحاكمة وضعفها، وتقديمها المساعدة كان بهدف تدعيم اركان دولتها، تنوعت هذه المساعدات بين فتح الاهراء (مخازن الطعام) وتوزيعه على المحتاجين، والتصدق بمبالغ مالية بهدف مساعدتهم، وكذلك عملت على تحويل البيمارستانات إلى ملاجئ خيرية يأوي إليها العوام في أوقات المجاعات وانتشار الأوبئة.
- تجلت علاقة العامة بالمتصوفة بالخصوص في الجانب الإنساني والإحساني الذي ظهر خاصةً في أوقات المجاعات والأوبئة.

الإحالات المرجعية:

(١) ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، تحقيق: نخبة من العاملين بدار المعارف، بيروت، (د.ت)، م٤، ص٣١١٢.
(٢) بدري محمد فهد: **العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري**، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص١١.
(٣) سورة سبأ – القرآن الكريم.
(٤) أحمد المحمودي: **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٢
(٥) جمال أحمد طه علي: **مظاهر الحياة الاجتماعية في عصري المرابطين والموحدين** (٤٥٠هـ/١٠٥٤م إلى ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب بسوهاج، ٢٠٠٠م، ص٧٢.
(٦) ابن منظور، مصدر سابق، ص٢١٤١ - ٢١٤٢.
(٧) **مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ**، باعتناء س باربيهديمينار، باريس، ١٨٧٧، ج٥، ص٨٧.
(٨) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٢٣.
(٩) ابن منظور، مصدر سابق، ص ٢٠٣١.
(١٠) أبي العباس المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٥٠.
(١١) **فقة اللغة وأسرار العربية**، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٨٩، ص١٤٢.
(١٢) الخوارزمي: **مفاتيح العلوم**، دار الكتب، بيروت، (د.ت)، ص٧٧.
(١٣) ابن منظور، مصدر سابق، ص ٢١٥٦.
(١٤) ابن سيدة: **المخصص**، مطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣١٩هـ، ج٣، ص٩٤.
(١٥) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٢٤.
(١٦) نفسه، ص٢٤
(١٧) الثعالبي: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، طبعة القاهرة، ١٩٠٨، ص٢٤١.
(١٨) ابن خلدون: **مقدمة**/ تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ج٢، ص٢٦٨.
(١٩) ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢، ص٣٦.
(٢٠) **الامتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، القاهرة، ١٩٤٢، ج١، ص٢٥.
(٢١) **قوت القلوب**، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ، ج٢، ص١١.
(٢٢) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٢٦.
(٢٣) المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص٤٦٢.
(٢٤) الوطواط: **غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة**، مطبعة دار الطباعة العامرة، القاهرة، ١٢٨٤هـ، ص٧٦.
(٢٥) مجهول: **تحفة الوزراء**، تحقيق: ريجيناها نيكه، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٩.
(٢٦) الحضرمي: **كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة**، تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١، ص٩٦_٩٧.
(٢٧) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ٩٧ – ٩٨.
(٢٨) بدري محمد فهد، مرجع سابق، ص١٥ – ١٦.

(٢٩) المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محيي الدين، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٣٣٥.
(٣٠) **تلبيس أبليس**، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤٢٦.
(٣١) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٣٠ – ٣١.
(٣٢) نفسه، ص٣١.
(٣٣) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦١، مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، الرباط، ٢٠٠٩، ج٣، ص٨٣
(٣٤) المصدر نفسه، ص٤٠٨.
(٣٥) مختار حساني، مرجع سابق، ص٢١٢-٢١٣.
(٣٦) يحيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، طبع بمطبعة بونطانة الاخوين وشركائهما الشرقية في الجزائر، ١٩٠١، ج٢، ص١٦١.
(٣٧) حنان محمد سويد، مرجع سابق، ص٣١٣.
(٣٨) البكري: **المغربفي ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (جزء من المسالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص٧٩.
(٣٩) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج٢، ص١٦١.
(٤٠) ابن منظور ، مرجع سابق ص٧٥ .
(٤١) يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص١٦١.
(٤٢) ابن مريم: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي وأخيه، الجزائر، ١٩٠٨، ص٣٩.
(٤٣) الفيلالي: **تلمسان في عهد الدولة الزيانية** (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٢، ج٣، ص٢٢٢.
(٤٤) **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص٥٨ – ٥٩.
(٤٥) ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٨، ص١٦١ – ١٦٢.
(٤٦) حنان محمد سويد، مرجع سابق، ص١٨٢.
(٤٧) الفيلالي، مرجع سابق، ج١ ص٢١٧.
(٤٨) نفسه، ص٢١٩.
(٤٩) نفسه.
(٥٠) نفسه، ص١٨٥.
(٥١) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج١، ص١٨٥، حنان محمد سويد، مرجع سابق، ص٣١٤.
(٥٢) عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٤.
(٥٣) مارمول كربخال، : إفريقيا : ترجمة محمد حجي وآخرون : دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، ١٩٨٩ ، ج٢، ص٣٠٠ .
(٥٤) ابن رشد: **فتاوي ابن رشد**، تحقيق: **المختار بن الطاهر التليلي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، ج٢، ص١٣٢٨.
(٥٥) الزجالي: **أمثال العوام بالأندلس**، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية، ١٩٧١، ص٢٢٦.
(٥٦) إبراهيم القادري بوتشيش: **الإسلام السري في المغرب العربي** ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص٢٣٩ - ٢٤٠.
(٥٧) عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٥.
(٥٨) ابن عبدون، **رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥، ص٢٢.
(٥٩) يحيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك منبني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد جاجيات، الكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠، ج٢، ص٤، حنان محمد سويد، مرجع سابق، ص٣١١.
(٦٠)عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٥.
(٦١) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٩٤.
(٦٢) عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ص٢٦٥.
(٦٣) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٩٦.
(٦٤) **تاريخ الدولة الزيانية**، ج٣، ص١١٣.
(٦٥) الحسن الوزان، ج٢، ص٩٦.
(٦٦) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٩٦.
(٦٧) الحسن الوزان، ج١، ص٩٦.
(٦٨) عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس** (ق ٦ – ٨هـ/ ١٢ – ١٤م)، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٨٩.
(٦٩) نفسه، ص١٨٢.
(٧٠) نفسه، ص١٨٦، ١٩٠.
(٧١) مختار حساني، مرجع سابق، ج٣، ص١١٨.
(٧٢) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص٢٦٧.
(٧٣) ابن سعيد: **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى**: ت. إبراهيم الابياري، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ص١٩٦.
(٧٤) مجهول: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، حققه: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص٢٧.
(٧٥) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص٢٦٦، ٢٦٧.
(٧٦) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص٩٩-١٠٠.
(٧٧) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ج٥، ص١٤٢.
(٧٨) مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: **القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات ص٢٣٨.
(٧٩) **قباطي**: جمع قبطية، هي الثوب الأبيض الرقيق من الكتان. مصطفى أبو ضيف، مرجع سابق، ص٢٣٩
(٨٠) **الغفائر**: جمع غفر، كساء يلبس فوق آخر. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٨١) ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة جعلتهم الوارثين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧، ص ٢٩١، ٤٣٧، ٤٥٠، مصطفى أبو ضيف، مرجع سابق، ص٢٣٩.
(٨٢) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠١.
(٨٣) ابن مريم: **البستان في ذكر الولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، الطبعة التعالبية، الجزائر، ١٩٠٨، ص٣١٦.
(٨٤) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص١٠٤.
(٨٥) نفسه، ص١٠٥.
(٨٦) نفسه، ص١٠٧.
(٨٧) مختار حساني، مرجع سابق، ص٢٠٢-٢٠٣.
(٨٨) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص١٠٨.
(٨٩) نفسه، ص١١١-١١٢.

(٩٠) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٩١) **فهرست الرصاع**، تحقيق: محمد العنابي، الكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧، ص١٤ ـ ١٦.

(٩٢) خالد بلعربي: **آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات**، مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد ٤، جوان، ٢٠١٣، ص١١٥.

(٩٣) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٣٨٦.

(٩٤) خالد بلعربي، مرجع سابق، ص١١٦.

(٩٥) ابن الخطيب: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق: السعدية فاغية، مطبعة النصاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص٩.

(٩٦) ابن زرع، مصدر سابق، ص٢٧٣.

(٩٧) عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص٧٨.

(٩٨) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي، أدولف فور، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥، ص١٠٥.

(٩٩) العبدري، **الرحلة المغربية**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٥.

(١٠٠) مختار حساني، مرجع سابق، ج٣، ص١٨١.

(١٠١) سمية مزدور: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (٥٨٨ – ٩٢٧هـ / ١١٩٢ – ١٥٢٠م)** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري– قسنطينة / كلية التاريخ والآثار، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩، ص١٤٤.

(١٠٢) أبو حمو بن زيان العبد وادي: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، طبع بمطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ١٢٧٩هـ، ص٨٧ ـ ٨٨.

(١٠٣) ريم محمود راشد: **الأمراض والأوبئة وأثرها على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن السابع الهجري السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي**، مجلة عمر المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، م٣٩، ع ١ لسنة ٢٠٢١، ص٤٣.

(١٠٤) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(١٠٥) ابن مرزوق: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوسبيغرا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٨١م، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

(١٠٦) فيلالي، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(١٠٧) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٦.

(١٠٨) ريم محمود راشد، مرجع سابق، ص٤٣.

(١٠٩) مزدورسمية، مرجع سابق، ص١٤٧.

(١١٠) العقباني: **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق: علي الشنوفي، ص١٢٧ ـ ١٣١.

(١١١) مزدورسمية، مرجع سابق، ص٧١.

(١١٢) نفسه، ص١٤٩.

(١١٣) أحمد المحمودي، مرجع سابق، ص١٥٠.

(١١٤) نفسه، ص١٥٥.

(١١٥) عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(١١٦) مزدورسمية، مرجع سابق، ص١٥٤.

(١١٧) الغبريني، مصدر سابق، ص١٦١.

(١١٨) ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، ص١٦٢.

(١١٩) نفسه ص١٦٠ ـ ١٦٣.

(١٢٠) ابن صعد: **روضة النسرين**، تحقيق: يحيى أبو عزيز، عالم المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٩، ص٥٦، ٤٠ ـ ١٠٥ ـ ١٠٥.

(١٢١) نفسه، ص١٢٩.

(١٢٢) نفسه، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(١٢٣) الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٨ ـ ٢٩.

(١٢٤) ابن قنفذ، مصدر سابق، ص١٥٠.

(١٢٥) نفسه ص١٥١ ـ ١٥١، سمية مزدور، مرجع سابق، ص١٥٥.